بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

لا شك أن دراسة تاريخ الأفكار تساعد بشكل كبير علىٰ فهم صورتها الحالية، فالأفكار لا تتبلور بغتة، ولا تأتي منسلخة من أيّ تأثير سابق، بل هي متشابكة متداخلة، وليست كالحوادث والوقائع التاريخية التي تحدَّد بزمان ومكان معينيْنِ. وتعتبر فكرة الإله من أهمِّ الأفكار المحورية في الفلسفة التي كان لها الأثر الكبير في صياغة الأفكار الفلسفية منذ العصر اليوناني وحتىٰ اليوم. ولا يمكن دراسة مفهوم الإله لدىٰ أمَّة من الأمم دون الرجوع إلىٰ مراحل المفهوم التاريخية عند تلك الأمة. هذا ما قام به البروفيسور براين مورلي في ورقته البحثية التي طرحها بعنوان: (المفاهيم الغربية عن الله)، والتي تناول فيها أبرز المراحل التاريخية للفكر الديني في الغرب، مبيِّنًا الأنماط الرئيسة للتناولات الفلسفية لمفهوم الإله، ومستعرضًا لأهمِّ التحوُّلات التي طرأت علىٰ هذا المفهوم، ابتداءً من فجر الفلسفة اليونانية، مرورًا بالقرون الوسطىٰ، وانتهاءً بالقرن العشرين. وقد حرصْتُ قدر المستطاع علىٰ أن تكون الورقة كافية بذاتها بحيث لا يحتاج القارئ للرجوع إلىٰ مصادرَ خارجية للتعرف علىٰ الأعلام والمصطلحات والنظريات التي تعرَّض لها المؤلف، فقمتُ بتوضيح وشرح تلك المصطلحات والنظريات، وترجمة الأعلام الوارد ذكرهم علىٰ مدار البحث.

والمؤلف: براين مورلي، حاصل علىٰ الدكتوراه في الفلسفة وعلم الدفاع اللاهوتي، ويعمل أستاذًا في جامعة ماسترز في كاليفورنيا في الولايات المتحدة،

وهو عضو في الجمعية الأنجليكية اللاهوتية، والجمعية الأنجليكية الفلسفية، وجمعية الفلاسفة المسيحيين، وعمل مستشارًا لوزارات التعليم في أوروبا وأمريكا، وقد قسَّم ورقته إلىٰ أربعة أقسام:

القسم الأول: خصَّصه للكلام عن المصادر التي استقىٰ منها الغربيون مفاهيمهم عن الإله.

والقسم الثاني: خصصه للمراحل التاريخية للمفاهيم الغربية عن الإله وقسَّمها إلىٰ ستة أقسام فرعية:

١- اليونان

٢- الفكر المسيحي المبكر

٣- القرون الوسطىٰ

٤- عصر النهضة

٥- عصر التنوير

٦- العصر الحديث

القسم الثالث: خصصه للصفات الإلهية ذاتِ الحضور البارز في المناقشات الفلسفية، وهي:

١- اللاجسمية

٢- البساطة

٣- الوحدانية

٤- السرمدية

٥- الثبات الإلهي

٦- القدرة

٧- العلم

٨- عدم الشعور

٩- الخيرية

ثم ختم **القسم الرابع** بمراجع البحث والمصادر المقترحة.

وكما أشار المؤلف في ورقته: فإن المسيحية تحتلُّ الجزء الأكبر في الفكر الديني الغربي، وتمثِّل أهمَّ المصادر التي ساهمت في تشكيل التصوُّرات والمفاهيم الإلهية الغربية، وعلىٰ الرغم من أن المسيحية الرسمية تؤكِّد أن الله موجود لامادِّيٌّ، متجاوز لحدود الزمان والمكان، متَّصف بالكمالات المطلقة، إلا أنها في الوقت نفسه تنسب إلىٰ الله -في تناقض صارخ- التجسُّد والتناهِي وغير ذلك من صفات النقص البشري التي اتصف بها (الله الابن) حال تجسُّده في شخص المسيح. وتمثل هذه العقائد المتناقضة أهمَّ أركان الدين المسيحي الأرثوذكسي، وقد انقسم موقف اللاهوتيين تجاه هذه العقائد المتناقضة إلىٰ موقفيْنِ أساسييْنِ:

الموقف الأول: موقف الذين لم يؤمنوا بِحَرْفِيَّةِ هذه العقائد وأوَّلوها باعتبارها رموزًا دينية أو أساطير، ويُنظر إلىٰ هؤلاء عادة كهراطقة.

الموقف الثاني: موقف الذين تمسَّكوا بهذه العقائد وآمنوا بها، وهم بدوْرهم ينقسمون إلىٰ فريقين:

فريق التزم الصمت، معتبرا ما في هذه العقائد من تناقض سرًّا إلهيًّا وطابعا أساسيا لله الذي ليس في وُسْع أي تصوُّر بشريٍّ أن يحيط بكُنْهه؛ فَهُمْ يرون أن استغلاق الله علىٰ الأفهام إنما هو جزء لا يتجزَّأ من صميم طبيعته، وهذا الاستغلاق هو بعينه السرُّ الإلهيُّ، وليس في الإمكان إحالة الصفات المنسوبة إلىٰ الله، إلىٰ حقيقة معقولة عن طريق التصوُّرات، وأي تفسير معقول لطبيعة الله اللامفهومة، إنما يستلزم أن يكون طابع اللامفهومية الذي تتحدث عنه العقيدة الدينية مجرد مبالغة، والحقُّ عندهم أن العقيدة الدينية إنما تعني ما تقول؛ فالحقيقة اللامفهومة لا يمكن أن تصبح قابلة للفهم عن طريق مزيد من التعلُّم والمعرفة، ولا هي من الأشياء التي من الممكن أن تنكشف لمن كان حظُّه من المواهب العقلية أكبر.

وأما الفريق الآخر، فقد رأىٰ إمكان عقلنة هذه المعتقدات المتناقضة، وسعىٰ لوضع تبريرات منطقية عسىٰ أن تحظىٰ تلك المعتقدات بالقبول لدىٰ العقل،

والأمر عندهم أشبهُ بالمسائل العويصة التي يمكن مع الوقت وزيادة المعرفة أن تصبح حقائق معقولة خالية من الغموض والتناقض.

وتعتبر محاولة توماس موريس في كتابه (منطق تجسُّد الله) أبرز تلك المحاولات التي طرحت لعقلنة التناقض الكامن في عقيدة تجسد الله في المسيحية، وهي المحاولة التي تناولها جون هيك بالتفنيد في كتابه: (أسئلة متنازع عليها في اللاهوت وفلسفة الدين) تحت عنوان يحمل نفس اسم كتاب موريس، والتي قمت بإرفاقها بالورقة الأولىٰ، وقد برهن جون هيك في مناقشته علىٰ أن محاولة موريس بدلا من أن تجعل هذه العقيدة معقولة قدَّمت دليلًا آخَرَ للأطروحة التي ترىٰ أن أيَّ محاولة لعقلنة هذه المعتقدات، ستبوء في النهاية إلىٰ خروج عن إطار العقيدة الرسمية، أيْ: إلىٰ الهرطقة[1]. فلا مناص إِذَنْ لمن يدين بالمسيحية من قبول التناقض والالتزام تجاهه بالصمت، أو التخلي عن تلك المعتقدات والاتجاه إلىٰ تأويلها.

ويُعد جون هيك أحد أبرز فلاسفة التعددية الدينية في العصر الحديث، وقد حصل علىٰ الدكتوراه من جامعة أكسفورد، ودرس في كلية وستمنستر للكهنوت في كامبريدج، ثم عُين عند نهاية دراسته قسيسًا في الكنيسة المشيخية الإنجليزية، وانتقل في عام ١٩٦٧ إلىٰ قسم اللاهوت في جامعة برمنجهام، وفي عام ١٩٧٩ قَبِلَ منصب كرسي دانفورث في فلسفة الدين في مدرسة الدراسات العليا في كليرمونت في جنوب كاليفورنيا، وشغل منصب نائب رئيس مجتمع فلسفة الدين

(١) بعد أن أقرَّ بالتناقض العظيم الذي تنطوي عليه عقيدة التثليث، وبيَّن أن من طبيعة الذهن المتعقل ألا يقبل مثل هذه (الأسرار) علىٰ هذا النحو؛ لذلك يسعىٰ دائما لإيجاد تصور منطقي لها، قال والتر استس: «بيد أن علماء اللاهوت كانوا أدرىٰ بالأمر؛ لأنهم قد اتخذوا من مذهب التثليث -الذي ينطوي علىٰ تناقض ذاتي- وسيلة للإلقاء بالسرِّ الإلهيّ في وجوه الناس دون أدنىٰ مواربة! وسنرىٰ فيما بعد كيف أن شتىٰ المحاولات التي تبذل من أجل جعل الدين أمرًا عقليًّا أو منطقيًّا صِرْفًا، ليست مجرد محاولات ضحلة فحسب، وإنما هي أيضا محاولات -إن قدِّر لها النجاح- فستكون هي الكفيلة بالقضاء علىٰ الدين، والحق إما أن يكون الله سرًّا، وإما ألا يكون شيئًا علىٰ الإطلاق». انظر: والتر استس، الزمان والأزل، (مكتبة الأسرة ٢٠١٣)، ص٤٨.

في بريطانيا، ونائب رئيس المجلس العالمي للأديان، وألقىٰ العديد من المحاضرات في مختلف جامعات العالم، وله العديد من المؤلفات والمقالات.

وأما توماس موريس، فهو فيلسوف أمريكي، حصل الدكتوراه في الفلسفة والدراسات الدينية من جامعة يال بالولايات المتحدة، وعمل أستاذًا للفلسفة في جامعة نوتردام لمدة خمسة عشر عامًا، وهو مؤسس مؤسسة موريس للقيم الإنسانية، له إسهامات في فلسفة الدين والفلسفة العامة، ويُعد كتابه (منطق تجسُّد الله) من أشهر ما كتب.

وأخيرا أسأل الله أن ينفع بهذا العمل.

واللّه الموفِّق

محمد سيد سلامة